بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ أى اذا سئل عنها قيل الله تعالى يعلم أو لا يعلمها الا الله عز وجل فالمقصود من هذا الكلام ارشاد المؤمنين فى التفصى عن هذا السؤال وكلا الجوابين يلزمه اختصاص علمها به تعالى، أما الثانى فظاهر، وأما الاول فلأنك إذا سئلت عن مسئلة وقلت. فلان يعلمه كان فيه نفى عنك كناية وتنبيه على أن فلانا أهل ان يسئل عنه دونك ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة من كمه اذا ستره وقد يضم وكم القميص بالضم وقرأ الحسن فى رواية والاعمش. وطلحة. وغير واحد من السبعة (من ثمرة) على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع. وقرئ (من ثمرات) من أكمامهن، بجميع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة لتأكيد الاستغراق والنص عليه ومن الثانية ابتدائية وكذا (ما) فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ ﴾ أى حملها، وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ فى موضع الحال والباء للملابسة أو المصاحبة والاستثناء من أعم الاحوال أى ما يحدث شىء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا أو مصاحبا بشىء من الاشياء الا مصاحبا أو ملابسا بعلمه المحيط سبحانه واقعا حسب تعلقه به، وجوز فى الأولى أن تكون موصولة معطوفة على الساعة أى اليه يرد علم الساعة وعلم مايخرج ومن الاولى بيانية والجار والمجرور فى موضع الحال ومن الثانية على حالها، وتأنيث (تخرج) باعتبار المعنى لأن مابمعنى ثمرة قيل: ولايجوز فى ما الثانية ذلك لمكان الاستثناء المفرغ وأجازه بعضهم، ويكفى لصحة التفريغ النفى فى قوله تعالى: (ولا تضع) وجملة لاتضع إما حال أو معطوفة على جملة (اليه يرد) الخ، ولايخفى عليك ان المتبادر فى الموضعين النفى ثم ان الاستثناء متعلق بالكل وتبيين القدر المشترك بين الافعال الثلاثة وجعله الاصل فى تعلق المفرغ كما سمعت لاظهار المعنى والايماء الى أنه لايحتاج فى مثله الى حذف من الأولين أعنى ما تخرج وما تحمل وهو قريب من أسلوب ، وقد حيل بين العير والنزوان ، لأن خرج زيد معناه حدث خروجه كما أن معنى ذلك فعل الحيلولة وليس ذاك من باب الاستثناء المتعقب لجمل والخلاف فى متعلقه فى شىء لأن ذلك فى غير المفرغ فقد ذكر النحويون فى باب التنازع وان كان منفيا بالا فالحذف ليس الا ولو كان منه لم يكن من المختلف فيه لاتحاد الجمل فى المقصود وظهور قرينة الرجوع الى الكل، والكلام على ما فى شرح التأويلات متصل بامر الساعة والبعث فانه لايعلم هذا كله الا الله تعالى فذكر هذه الأمور لمناسبتها لعلم الساعة وإن الكل ايجاد بعد العدم بقدرته عز وجل فيكون كالبرهان على الحشر، وجوز أن يكون متصلا بقوله تعالى: (ومن آياته الليل والنهار) الخ وبقوله سبحانه: (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) الخ، فالمعنى من آيات ألوهيته تعالى وقدرته أن تخرج الثمرات وتحمل الحوامل وتضع حسب علمه جل وعلا، والاول أقرب ◆

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ أى بزعمكم كما نص عليه بقوله سبحانه: (أين شركائى الذين كنتم تزعمون)

وفيه تهكم بهم وتفريع لهم، و(يوم) منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما فى قوله تعالى: (يوم يجمع الله الرسل) وضمير (يناديهم) عام فى كل من عبد غير الله تعالى فيندرج فيه عبدة الاوثان ﴿ قَالُوا ﴾ أى أولئك المنادون ﴿ ءَاذَنَّاكَ ﴾ أى أعلمناك والمراد بالاعلام هنا الاخبار لأنه تعالى عالم فلا يصح اعلامه بما هو سبحانه عالم به بخلاف الاخبار فانه يكون للعالم فكأنه قيل أخبرناك ﴿ مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ ٤٧ ﴾ أى بأنه ليس منا أحد يشهد لهم بالشركة فالجملة فى محل نصب مفعول (آذناك) وقد علق عنها وفى تعليق باب أعلم وأنبأ خلاف والصحيح انه مسموع فى الفصيح، و(شهيد) فعيل من الشهادة ونفى الشهادة كناية عن التبرؤ منهم لأن الكفرة يوم القيامة أنكروا عبادة غيره تعالى مرة وأقروا بها وتبرؤا عنها مرة أخرى وفسره السمرقندى بالانكار لعبادتهم غير الله تعالى وشركهم كذبا منهم وافتراء كقوله تعالى حكاية عنهم: (والله ربنا ما كنا مشركين) وظاهر (آذناك) يقتضى سبق الايذان فى جواب أين شركائى وإنما سئلوا ثانيا حتى أجابوا بأنه قد سبق الجواب لأنه توبيخ وفى اعادة التوبيخ من تأكيد أمر الجناية وتقبيح حال من يرتكبها ما لا يخفى، واستظهر أبو حيان ان المراد احداث ايذان لا اخبار عن ايذان سابق على نحو طلقت وأمثاله، وجوز أن يقال: انه اخبار باعلام سابق وذلك الاعلام السابق ما علمه تعالى من بواطنهم يوم القيامة انهم لم يبقوا على الشرك وعلى تلك الشهادة وكأنه اعلام منهم بلسان الحال وهذا لا يقتضى سبق سؤال ولا جواب وفيه حسن أدب كأنهم يقولون أنت أعلم به ثم يأخذون فى الجواب *

قال فى الكشف: وهذا الوجه هو المختار لاشتماله على النكتة المذكورة وما فى الآخرين من سوء الادب، ويحتمل أن يكون المعنى آذناك بأنه ليس منا أحد يشاهدهم فشهيد من الشهود بمعنى الحضور والمشاهدة ونفى مشاهدتهم الظاهر أنه على الحقيقة وذلك فى موقف وجعل بعض العبدة مقرين بمعبوداتهم فى آخر فلا تنافى بينهما، وقيل: هو كناية عن نفى أن يكون له تعالى شريك نحو قولك: لا ترى لك مثلا تريد لا مثل لك البتة، والكلام فى (آذناك) على ما آذناك، وقيل: ضمير (قالوا) للشركاء أى قال الشركاء: ليس منا أحد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين فشهيد من الشهادة لا غير، والمراد التبرؤ منهم وفيه تفكيك الضمائر، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ على ما قيل: إن شركاءهم الذين كانوا يدعونهم من قبل ويرجون نفعهم غابوا عنهم على أن الضلال على معناه الحقيقى وهو الذى يقابل الوجدان أو أن شركاءهم لم ينفعوهم بشىء على أن الضلال مجاز عن عدم النفع و(ما) اسم موصول عبارة عن الشركاء، ويحسن جمع من يعقل ومن لا يعقل فى التعبير بما فى مثل هذا المقام، وجوز أن تكون ما عبارة عن القول الذى كانوا يقولونه فى شأن الشركاء من انهم آلهة وشركاء لله سبحانه وتعالى، والمعنى نسوا ما كانوا يقولونه فى شأن شركائهم من نسبة الالوهية اليهم، ولك أن تجعلها مصدرية والجملة يحتمل أن تكون حالا وإن تكون اعتراضا، وذكر بعض الاجلة أنه يتعين الاخير على القول بأن ضمير (قالوا) للشركاء، وكون الضلال مجازا عن عدم النفع فتدبر ﴿ وَظَنُّوا ﴾ أى ايقنوا كما قال السدى وغيره لأنه لا احتمال لغيره هنا والظن يكون بمعنى العلم كثيرا ﴿ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ٤٨ ﴾ أى مهرب، والظاهر أن الجملة فى محل نصب سادة مسد مفعولى ظن وهى معلقة عنها بحرف النفى، وقيل: تم الكلام عند قوله تعالى: (وظنوا) والظن

على ظاهره أى وترجح عندهم أن قولهم :(مامنا من شهيد) منجاة لهم او أمر يموهون به ، والجملة بعد مستأنفة أى لا يكون لهم منجى أو موضع روغان ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ الْاِنسَانُ ﴾ لا يمل ولا يفتر ﴿ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ ﴾ من طلب السعة فى النعمة واسباب المعيشة، (ودعاء) مصدر مضاف للمفعول وفاعله محذوف أى من دعاء الخير هو

وقرأ عبدالله (من دعاء بالخير) بباء داخلة على الخير ﴿ وَاِن مَّسَّهُ الشَّرُّ ﴾ الضيقة والعسر ﴿ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ٤٩ ﴾ أى فهو يؤوس قنوط من فضل الله تعالى ورحمته ، وهذا صفة الكافر ، والآية نزلت فى الوليد بن المغيرة ، وقيل: فى عتبة بن ربيعة وقد بولغ فى يأسه من جهة الصيغة لأن فعولا من صيغ المبالغة ومن جهة التكرار المعنوى فان القنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر ، ولما كان أثره الدال عليه لا يفارقه كان فى ذكره ثانيا بطريق أبلغ، وقدم اليأس لأنه صفة القلب وهو أن يقطع رجاءه من الخير وهى المؤثرة فيما يظهر على الصورة من التضاؤل والانكسار ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ ﴾ أى لئن فرجنا عنه بصحة بعد مرض أو سعة بعد ضيق أو غير ذلك ﴿ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى ﴾ أى حقى استحقه لما لى من الفضل والعمل لا تفضل من الله عز وجل فاللام للاستحقاق أو هو لى دائما لا يزول فاللام للملك وهو يشعر بالدوام ولعل الأول أقرب ،

﴿ وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ أى تقوم فيما سيأتى ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّى ﴾ على تقدير قيامها ﴿ إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ أى للحالة الحسنى من الكرامة ، والتأكيد بالقسم هنا ليس لقيام الساعة بل لكونه مجزيا بالحسنى لجزمه باستحقاقه للكرامة لاعتقاده ان ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلا تنافى بين ان التى الأصل فيها أن تستعمل لغير المتيقن وبين التأكيد بالقسم وان واللام وتقديم الظرفين وصيغة التفضيل ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾ لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم ولنبصرنهم بعكس ما اعتقدوا فيها فيظهر لهم أنهم مستحقون للاهانة لا الكرامة كما توهموا ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ٥٠ ﴾ لا يمكنهم التفصى عنه لشدته فهو كوثاق غليظ لا يمكن قطعه ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْاِنسَانِ أَعْرَضَ ﴾ عن الشكر ﴿ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ تكبر واختال على أن الجانب بمعنى الناحية والمكان ثم نزل مكان الشىء وجهته كناية منزلة الشىء نفسه، ومنه قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه) وقول الشاعر :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

وقول الكتاب حضرة فلان ومجلسه العالى وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قيل : نأى بنفسه ثم كنى بذهب بنفسه عن التكبر والخيلاء ، وجوز أن يراد (بجانبه) عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا : ثنى عطفه وتولى بركنه والاول مشتمل على كنايتين، وضع الجانب موضع النفس والتعبير عن التكبر البالغ بنحو ذهب بنفسه وهذا على واحدة على ما فى الكشف ، وجعل بعضهم الجانب والجنب حقيقة كالعطف فى الجارحة وأحد شقى البدن مجازاً فى الجهة فلا تغفل، وعن أبى عبيدة نأى بجانبه أى نهض به وهو عبارة عن التكبر كشمخ بأنفه، والباء للتعدية ثم ان التعبير عن ذات الشخص بنحو المقام والمجلس كثيرا ما يكون لقصد التعظيم والاحتشام عن التصريح بالاسم وهو يتركون التصريح به عند

ارادة تعظيمه قال زهير :

فعرض اذا ما جئت بالبان والحمى وإياك أن تنسى فتذكر زينبا
سيكفيك من ذاك المسمى اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا

ومن هنا قال الطيبي: إن ماهنا وارد على التهكم .وقرئ (وناء) بامالة الالف وكسر النون للاتباع (وناء) على القلب كما قالوا راء في رأى ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ٥١ ﴾ أي كثير مستمر مستعار مما له عرض متسع وأصله مما يوصف به الاجسام وهو أقصر الامتدادين وأطولهما هو الطول، ويفهم في العرف من العريض الاتساع وصيغة المبالغة وتنوين التكثير يقويان ذلك ، ووصف الدعاء بما ذكر يستلزم عظم الطول أيضا لأنه لابد أن يكون أزيد من العرض والا لم يكن طولا ،والاستعارة في كل من الدعاء والعريض جائزة ولا يخفى كيفية اجرائها ٠

وذكر بعض الأجلة أن الآيات قد تضمنت ضربين من طغيان جنس الانسان فالأول في بيان شدة حرصه على الجمع وشدة جزعه على الفقد والتعريض بتظليم ربه سبحانه في قوله (هذا لي) مدمجا فيه سوء اعتقاده في المعاد المستجلب لتلك المساوى كلها ، والثاني في بيان طيشه المتولد عنه اعجابه واستكباره عند وجود النعمة واستكانته عند فقدها وقد ضمن في ذلك ذمه بشغله بالنعمة عن المنعم في الحالتين، أما في الأول فظاهر، وأما في الثاني فلأن التضرع جزعا على الفقد ليس رجوعا الى المنعم بل تأسف على الفقد المشغل عن المنعم كل الاشغال، وذكر أن في ذكر الوصفين ما يدل على أنه عديم النهية أي العقل ضعيف المنة أي القوة فان اليأس والقنوط ينافيان الدعاء العريض وأنه عند ذلك كالغريق المتمسك بكل شئ انتهى، ومنه يعلم جواب ما قيل : كونه يدعو دعاء عريضا متكررا ينافي وصفه بأنه يؤس قنوط لأن الدعاء فرع الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهور أثر اليأس فظهور ما يدل على الرجاء يأباه، وأجاب آخرون بأنه يجوز أن يقال: الحال الثاني شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط أو شان الكل في بعض الاوقات، واستدل بعضهم بقوله تعالى: (فذو دعاء عريض) على أن الايجاز غير الاختصار وفسره لهذه الآية بحذف تكرير الكلام مع اتحاد المعنى والايجاز بحذف طوله وهو الاطناب وهو استدلال بما لا يدل إذ ليس فيها حذف ذلك العرض فضلا عن تسميته ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ الخ رجوع لالزام الطاعنين والملحدين وختم للسورة بما يلتفت لفت بدئها وهو من الكلام المنصف وفيه حث على التامل واستدراج للاقرار مع ما فيه من سحر البيان وحديث الساعة وقع في البين تتميما للوعيد وتنبيها على ما هم فيه من الضلال البعيد كذا قيل، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط الكلام في ذلك ، ومعنى (أرأيتم) أخبروني ﴿ إِنْ كَانَ ﴾ أي القرآن ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به ، و(ثم) كما قال النيسابوري للتراخي الرتبي ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ ﴾ أي خلاف ﴿ بَعِيدٍ ٥٢ ﴾ غاية البعد عن الحق ، والمراد ممن هو في شقاق المخاطبون، ووضع الظاهر موضع ضميرهم شرحا لحالهم بالصلة وتعليلا لمزيد ضلالهم ، وجملة (من أضل) على ما قال ابن الشيخ سادة مسد مفعولي (رأيتم) وفي البحر المفعول الاول محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم والثاني هو جملة الاستفهام، وأياما كان فجواب الشرط محذوف، قال النيسابوري: تقديره مثلا فمن أضل منكم، وقيل: إن كان من عند الله ثم كفرتم به فاخبروني من أضل منكم، ولعله الاظهر٠

وقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ ﴾ الخ مرتبط على ما اختاره صاحب الكشاف بقوله تعالى : (قل أرأيتم) الخ على وجه التتميم والارشاد الى ما ضمن من الحث على النظر ليؤدى إلى المقصود فيهدوا الى اعجازه ويؤمنوا بما جاء به ويعملوا بمقتضاه ويفوزوا كل الفوز، وفسر الآيات بما أجرى الله تعالى على يدى نبيه ﷺ وعلى أيدى خلفائه وأصحابهم رضى الله تعالى عنهم من الفتوحات الدالة على قوة الاسلام وأهله ووهن الباطل وحزبه ، والآفاق النواحى الواحد أفق بضمتين وأفق بفتحتين أى سنريهم آياتنا فى النواحى عموما من مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، وفيه أن هذه الاراءة كائنة لا محالة حتى لا يحوم حولها ريبة ﴿ وَفِى أَنفُسِهِمْ ﴾ فى بلاد العرب خصوصا وهو من عطف جبريل على ملائكته، وفى العدول عنها الى المنزل ما لا يخفى من تمكين ذلك النصر وتحقيق دلالته على حقية المطلوب اثباته وإظهار أن كونه آية بالنسبة الى الانفس وإن كان كونه فتحا بالنسبة الى الأرض والبلدة ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ﴾ يظهر ﴿ لَهُمْ أَنَّهُ ﴾ أى القرآن هو ﴿ الْحَقُّ ﴾ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحق كله من عند الله تعالى المطلع على كل غيب وشهادة فلهذا نصر حامليه وكانوا محقين ، وفى التعريف من الفخامة ما لا يخفى جلالة وقدرا، وفيما ذكر اشارة الى أنه تعالى لا يزال ينشىء فتحا بعد فتح وآية غب آية الى أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون فانظر الى هذه الآية الجامعة كيف دلت على حقية القرآن على وجه تضمن حقية أهله ونصرتهم على المخالفين وأعظم بذلك تسليا عما أشعرت به الآية السابقة من انهماكهم فى الباطل الى حد يقرب من اليأس، وقيل: الضمير للرسول عليه الصلاة والسلام أو الدين أو التوحيد ولعل الأول أولى ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ ﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على انكارهم تحقق الاراءة ، والهمزة للانكار والواو على أحد الرأيين للعطف على مقدر دخلت عليه الهمزة يقتضيه المقام والباء مزيدة للتأكيد و(ربك) فاعل كفى وزيادة الباء فى فاعلها هو القول المشهور المرضى للنحاة وتزاد فى فاعل فعل التعجب أيضا نحو أحسن بزيد فان أحسن فعل ماض جىء به على صيغة الأمر والباء زائدة وزيد فاعل عند جماعة من النحويين ولا تكاد تزاد فى غيرهما، وقوله :

ألم يأتيك والانباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

شاذ قبيح على ما قال الشهاب، وقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ٥٣ بدل من الفاعل بدل اشتمال، وقيل : هو بتقدير حرف الجر أى أو لم يكفهم ربك بانه الخ، وما للنحويين فى مثل هذا التركيب من الكلام شهير، أى انكروا اراءة ذلك الدالة على حقية القرآن ولم يكفهم دليلا أنه عز وجل مطلع على كل شىء عالم به ومن ذلك حالهم وحالك الموجبان حكمة نصرك عليهم وخذلانهم، وكان ذلك لظهوره نزل منزلة المعلوم لهم ، وفى الكشف أى أولم يكفهم ان ربك سبحانه مطلع على كل شىء يستوى عنده غيب الاشياء وشهادتها على معنى أو لم يكفهم هذه الاراءة دليلا قاطعا ولما كان ما وعده غيبا عنهم كيف وقد نزل وهم فى حال ضعف وقلة يقاسون ما يقاسون من مشركى مكة قيل: أولم يكفهم اطلاع من هذا الكتاب الحق من عنده على كل غيب وشهادة دليلا على كينونة الاراءة واحضار ذلك الغيب عندهم اذ لا غيب بالنسبة اليه تعالى، وفى العدول الى هذه العبارة فائدتان: احداهما تحقيق انجاز ذلك الموعود كأنه مشاهد بذكر الدليل القاطع على الوقوع. والثانية الدلالة

على أن هذه الاراءة الآن وهم فى ضعف وقلة قد تمت بالنسبة الى اثبات حقية القرآن لأن من علم أنه تعالى على كل شىء شهيد وعلم ان القرآن معجز من عنده علم أن جميع ما فيه حق وصدق فعلم ان تلك النصرة كائنة ٥

والحاصل انه كما يستدل من تلك الآيات على حقية القرآن وحقية أهله تارة يستدل من اعجاز القرآن على حقية تلك الآيات وقوعا وحقية أهل الاسلام أخرى فأدى المعنيان فى عبارة جامعة تؤدى الغرضين على وجه لا يمكن أتم منه انتهى . ولا يخفى أن فى الآية عليه نوعا من الالغاز ، وقيل : أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك انه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بانه من عنده عز وجل، وهو كما ترى، وقيل: المعنى ولم يكفك انه تعالى على كل شىء شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة. وتعقب بأنه مع ايهامه مالا يليق بجلالة منصبه صلى الله تعالى عليه وسلم من التردد فيما ذكر من تحقق الموعود لا يلائم قوله تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث لاستبعادهم اعادة الموتى بعد تبدد اجزائهم وتمزق اعضائهم فلا يلتفتون الى أدلة ما ينفعهم عند لقائه تعالى كحقية القرآن لأنه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم ٥

وقوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ لبيان ما يترتب على تلك المرية بناء على أن المعنى انه تعالى عالم بجميع الاشياء على أكمل وجه فلا يخفى عليه جل وعلا خافية منهم فيجازيهم جل جلاله على كفرهم ومريتهم لا محالة ٥

وقيل : دفع لمريتهم وشكهم فى البعث وإعادة ما تفرق واختلط مما يتوهمون عدم امكان تمييزه أى أنه تعالى عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شىء منها فهو سبحانه يعلم الأجزاء ويقدر على البعث ٥

هذا وما ذكر فى تفسير (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) فى معنى ما روى عن الحسن. ومجاهد . والسدى . وأبى المنهال. وجماعة قالوا : ان قوله سبحانه :(سنريهم) الخ وعيد للكفار بما يفتحه الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من الاقطار حول مكة وفى غير ذلك من الأرض كخيبر وأراد بقوله تعالى: (فى أنفسهم) فتح مكة ، وقال الضحاك . وقتادة: فى الآفاق ما أصاب الأمم المكذبة فى اقطار الأرض قديما وفى أنفسهم ما كان يوم بدر فان فى ذلك دلالة على نصرة من جاء بالحق وكذب من الأنبياء عليهم السلام فيدل على حقية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به من القرآن. وأورد عليه ان (سنريهم) يأبى كون ما فى الآفاق ما أصاب الأمم المكذبة لكونه مرئيا لهم قبل ، وقال عطاء . وابن زيد: ان معنى (سنريهم آياتنا فى الآفاق) أى أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر وسائر الكواكب والرياح والجبال الشامخة وغير ذلك وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ، وضعف ذلك الامام بنحو ما سمعت آنفا. وأجيب بان القوم وان كانوا قد رأوا تلك الآيات الا ان العجائب التى أودعها الله تعالى فيها مما لا نهاية لها فهو سبحانه يطلعهم عليها زمانا قريبا حالا فحالا فان كل أحد يشاهد بنية الانسان الا أن العجائب المودعة فى تركيبها لا تحصى وأكثر الناس غافلون عنها فمن حمل على التفكر فيها بالقوارع التنزيلية والتنبيهات الالهية كلما ازداد تفكرا ازداد وقوفا فصح معنى الاستقبال ٥

واختار ذلك صاحب الكشف تبعا لغيره وبين وجه مناسبة الآيات لما قبلها عليه ، وجعل ضمير (أنه الحق) لله

عزوجل فقال: إن فى قوله تعالى (قل أرأيتم إن كان من عندالله) اشعارا بأن كونه من عنده سبحانه ينافى الكفر به وانهم مسلمون ذلك لكن يطعنون فى كونه من عنده عزوجل ولذا جعل نحو (أساطير الاولين) فى جواب قولهم (ماذا أنزل ربكم) أنه اعراض عن كونه منزلا وجواب بأنه أساطير لامنزل فاريدان يبين اثبات كونه حقامن عنده تعالى على سبيل الكناية ليكون أوصل إلى الغرض ويناسب مابنى عليه الكلام من سلوك طريق الانصاف فقيل: (سنريهم) أى سيرى الله تعالى، والالتفات للدلالة على زيادة الاختصاص وتحقيق ثبوت الاراءة ثم قيل: (حتى يتبين لهم أنه الحق) أى أن الله جل جلاله هو الحق من كل وجه ذاتا وصفة وقولا وفعلا وماسواه باطل من كل وجه لاحق الاهو سبحانه وإذا تبين لهم حقيته عز شأنه من كل وجه يلزم ثبوت القرآن وكونه من عنده تعالى بالضرورة، ثم قيل: أولم يكف بربك أى أولم يكفك شهوده تعالى على كل شىء فمنه سبحانه تشهد كل شىء لامن آيات الآفاق والانفس تشهده تعالى فالاول استدلال بالاثر على المؤثر والثانى من المؤثر على الاثر وهذا هو اللمى اليقينى، وفى قوله تعالى: (بربك) مضافا إلى ضميره ﷺ وإيثاره على أولم يكف به اشعار بأنه عليه الصلاة والسلام وأتباعه من كل العارفين هم الذين يكفيهم شهوده على كل شىء دليلا وأن ذلك لهم نفس عنايته تعالى وتربيته من دون مدخل لتعلمهم فيه بخلاف الأول، ثم قيل: (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) فلهذا لايكفيهم أنه تعالى على كل شىء شهيد لأنه لاشهود لهم ليشهدوا شهوده تعالى فهو شامل لفريقى الابرار والكفار، أما الكفار فلانهم فى شك فى الاصل، وأما الابرار فلانهم فى شك من الشهود أى لاعلم لهم به الا ايمانا متمحضا عن التقليد ●

واطلاق المرية للتغليب ولايخفى حسن موقعه، ثم قيل: (ألا إنه بكل شىء محيط) تتميما لقوله تعالى: (أولم يكف بربك) لأن من أحاط بكل شىء علما وقدرة لم يتخلف شىء عن شهوده فمن شهده شهد كل شىء فهذا هو الوجه فى تعميم الآيات من غير تخصيص لها بالفتوح وهو أنسب من قول الحسن. ومجاهد وأجرى على قواعد الصوفية وعلماء الأصول رحمة الله تعالى عليهم أجمعين انتهى، وقد أبعد عليه الرحمة المغزى وتكلف ماتكلف، ونقل العارف الجامى قدس سره فى نفحاته عن القاشانى أن قوله تعالى: (سنريهم) الخ يدل على وحدة الوجود، وقد رأيت فى بعض كتب القوم الاستدلال به على ذلك وجعل ضمير (أنه الحق) إلى المرئى وتفسير (الحق) بالله عزوجل، ومن هذا ونحوه قال الشيخ الاكبر قدس سره: سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها وهذه الوحدة هى التى حارت فيها الافهام وخرجت لعدم تحقيق امرها رقاب من ربقة الاسلام، وللشيخ ابراهيم الكورانى قدس سره النورانى عدة رسائل فى تحقيق الحق فيها وتشييد مبانيها نسأل الله تعالى أن يمن علينا بصحيح الشهود ويحفظنا بجوده عما علق باذهان الملاحدة من وحدة الوجود، وقرئ (إنه على كل شىء شهيد) بكسر همزة أن على اضمار القول، وقرأ السلمى. والحسن (فى مرية) بضم الميم وهى لغة فيها كالكسر ونحوها خفية بضم الخاء وكسرها والكسر اشهر لمناسبة الياء ●

﴿ ومن كلمات القوم فى الآيات ﴾ (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) فيه اشارة إلى أن اجر المؤمن الغير العامل ممنون أى منقوص بالنسبة إلى أجر المؤمن العامل وأجر هذا العامل على الاعمال البدنية كالصلاة والحج الجنة، وعلى الاعمال القلبية كالرضا والتوكل الشوق والمحبة وصدق الطلب، وعلى الاعمال الروحانية كالتوجه إلى الله تعالى كشف الاسرار وشهود المعانى والاستئناس بالله تعالى والاستيحاش من الخلق والكرامات، وعلى اعمال الاسرار كالاعراض عن السوى بالكلية دوام التجلى (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض)

أى ارض البشرية (فى يومين) يومى الهوى والطبيعة (وتجعلون له اندادا) من الهوى والطبيعة (وجعل فيها رواسى) العقول الانسانية (وبارك فيها) بالحواس الخمس (وقدر فيها) أقواتها من القوى البشرية (ثم استوى إلى السماء) سماء القلب «وهى دخان» هيولى إلهية «فقضاهن سبع سموات» هى الاطوار السبعة للقلب فالاول محل الوسوسة والثانى مظهر الهواجس والثالث معدن الرؤية ويسمى الفؤاد والرابع منبع الحكمة ويسمى القلب والخامس مرآة الغيب ويسمى السويداء والسادس مثوى المحبة ويسمى الشغاف والسابع مورد التجلى ومركز الاسرار ومهبط الانوار ويسمى الحبة «فى يومين» يومى الروح الانسانى والالهام «وزينا السماء الدنيا بمصابيح» وهى انوار الاذكار والطاعات «إن الذين قالوا ربنا الله» يوم خوطبوا بألست بربكم؟ «ثم استقاموا» على اقرارهم لما خرجوا إلى عالم الصور ولم ينحرفوا عن ذلك كالمنافقين والكافرين، وذكر أن الاستقامة متفاوتة فاستقامة العوام فى الظاهر بالاوامر والنواهى وفى الباطن بالايمان واستقامة الخواص فى الظاهر بالرغبة عن الدنيا وفى الباطن بالرغبة عن الجنان شوقا إلى الرحمن واستقامة خواص الخواص فى الظاهر برعاية حقوق المبايعة بتسليم النفس والمال وفى الباطن بالفناء والبقاء «تتنزل عليهم الملائكة» تنزلا متفاوتا حسب تفاوت مراتبهم، وعن بعض أئمة أهل البيت أن الملائكة لتزاحمنا بالركب أوما هذا معناه «وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون» هى أيضا متفاوتة فمنهم من يبشر بالجنة المعروفة ومنهم من يبشر بجنة الوصال ورؤية الملك المتعال «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله» بترك ماسواه «وعمل صالحا» لئلا يخالف حاله قاله «وقال انني من المسلمين» المنقادين لحكمه تعالى الراضين بقضائه وقدره، وفيه اشارة إلى صفات الشيخ المرشد وماينبغى أن يكون عليه ويحق أن يقال فى كثير من المتصدين للارشاد فى هذا الزمان المتلاطمة أمواجه بالفساد:

خلت الرقاع من الرخاخ وتفرزنت فيها البيادق
وتصاهلت عرج الحمير وذاك من عدم السوابق

«ولا تستوى الحسنة» وهى التوجه إلى الله تعالى بصدق الطلب وخلوص المحبة «ولا السيئة» وهى طلب السوى والرضا بالدون «ادفع بالتى هى أحسن» وهى طلب الله تعالى طلب ماسواه سبحانه «فاذا الذى بينك وبينه عداوة» وهو النفس الامارة بالسوء «كأنه ولى حميم» لتزكى النفس عن صفاتها الذميمة وانفطامها عن المخالفات القبيحة «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ» لتميل إلى مايهوى «فاستعذ بالله» وارجع اليه سبحانه لئلا يؤثر فيك نزغه، وفيه اشارة إلى أنه لا ينبغى الأمن من المكر والغفلة عن الله عز وجل «إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا» فيه اشارة إلى سوء المنكرين على الاولياء فانهم من آيات الله تعالى والانكار من الالحاد نسأل الله تعالى العفو والعافية «قل هو» أى القرآن «للذين آمنوا هدى وشفاء» على حسب مراتبهم فمنهم من يهديه إلى شهود الملك العلام فعن الصادق على آبائه وعليه السلام لقد تجلى الله تعالى فى كتابه لعباده ولكن لا يبصرون «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم» فيه اشارة إلى أن الخلق لا يرون الآيات الا باراءته عز وجل وهى كشف الحجب ليظهر أن الاعيان ماشمت رائحة الوجود ولا تشمه ابدا وانه عز وجل هو الأول والآخر والظاهر والباطن كان الله ولا شىء معه وهو سبحانه الآن على ماعليه كان واليه الاشارة عندهم بقوله تعالى: «حتى يتبين لهم أنه الحق» ومن هنا قال الشيخ الاكبر قدس سره:

ما آدم فى الكون ما ابليس ما ملك سليمان وما بلقيس

الكل اشارة وأنت المعنى يامن هو للقلوب مغناطيس

وأكثر كلامه قدس سره من هذا القبيل بل هو أم وحدة الوجود وأبوها وابنها وأخوها، وإياك أن تقول كما قال ذلك الاجل حتى تصل بتوفيق الله تعالى إلى ماإليه وصل والله عز وجل الهادى إلى سواء السبيل، تم الكلام على السورة والحمد لله على جزيل نعمائه والصلاة والسلام على رسوله محمد مظهر أسمائه وعلى آله وأصحابه وسائر أتباعه وأحبائه وصلاة وسلاما باقيين إلى يوم لقائه *

﴿ سورة الشورى ٤٢ ﴾

وتسمى سورة (حم عسق. وعسق) نزلت على ما روى عن ابن عباس. وابن الزبير بمكة وأطلق غير واحد القول بمكيتها من غير استثناء، وفى البحر هى مكية إلا أربع آيات من قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) إلى آخر أربع آيات، وقال مقاتل: فيها مدنى قوله تعالى: (ذلك الذى يبشر الله عباده - إلى - الصدور) واستثنى بعضهم قوله تعالى: (أم يقولون افترى) الخ، قال الجلال السيوطى: ويدل له ما أخرجه الطبرانى. والحاكم فى سبب نزولها فانها نزلت فى الأنصار، وقوله سبحانه: (ولو بسط الله الرزق) الخ فانها نزلت فى أصحاب الصفة رضى الله تعالى عنهم، واستثنى أيضا (الذين إذا أصابهم البغى) إلى قوله تعالى: (من سبيل) حكاه ابن الفرس، وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يدل على استثناء غير ذلك على بعض الروايات، وجوز أن يكون الاطلاق باعتبار الأغلب وعدد آياتها ثلاث وخمسون فى الكوفى وخمسون فيما عداه والخلاف فى (حم عسق) وقوله تعالى: (كالأعلام) كما فصله الدانى. وغيره، ومناسبة أولها لآخر السورة قبلها اشتمال كل على ذكر القرآن وذب طعن الكفرة فيه وتسلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم *

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ١ عسق ٢ ﴾ لعلهما اسمان للسورة وأيد بعدهما آيتين والفصل بينهما فى الخط وبورود تسميتها (عسق) من غير ذكر (حم)، وقيل: هما اسم واحد وآية واحدة وحقه أن يرسم متصلا كما فى (كهيعص) لكنه فصل ليكون مفتتح السورة على طرز مفتتح اخواتها حيث رسم فى كل مستقلا وعلى الأول هما خبر ان لمبتدا محذوف، وقيل: (حم) مبتدأ و(عسق) خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد، وقيل: إن (حم عسق) إشارة إلى هلاك مدينتين تبنيان على نهر من أنهار المشرق يشق النهر بينهما يجتمع فيهما كل جبار عنيد يبعث الله تعالى على إحداهما ناراً ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها ويخسف بالأخرى فى الليلة الأخرى، وروى ذلك عن حذيفة، وقيل: إن «حم» اسم من أسماء الله تعالى و«عين» إشارة إلى عذاب يوم بدر و(سين) إشارة إلى قوله تعالى: (سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) و«قاف» إلى قارعة من السماء تصيب الناس، وروى ذلك بسند ضعيف عن أبى ذر، والذى يغلب على الظن عدم ثبوت شئ من الروايتين *

وفى البحر ذكر المفسرون فى (حم عسق) أقوالا مضطربة لا يصح منها شئ ضربنا عن ذكرها صفحا، وما ذكرناه أولا قد اختاره غير واحد، ومنهم من اختار أنها مقطعات جىء بها للايقاظ، وقرأ ابن عباس. وابن مسعود (حم سق) بلا عين *

وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ ﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف الكتب المنزلة على سائر الرسل المتقدمين فى الدعوة إلى